الوصول الحر للمعلومات

1.لمحة تاريخية عن الوصول الحر للمعلومات

كانت البداية الفعلية للدوريات العلمية فى عام 1665وكانت في ذلك الحين تمثل فرصة أمام الباحثين لنشر أعمالهم بسرعة وضمان توزيعها على نطاق واسع ، فضلا عن أنها كانت وسيلة لإثبات حق السبق فى الوصول لنتائج أبحاثهم العلمية ، وكانت الدوريات فى بداياتها الأولى لا تدفع مقابلا ماديا للمؤلفين، وإنما كانت تهبهم مكافآت مقابل جهودهم العلمية ، ومع مرور الوقت وحتى الآن تمثل المقالات المنشورة من خلال الدوريات العلمية أحدث تطورات المعرفة ، وتعد وسيلة هامة لتقييم الأعمال العلمية ، ووسيلة لتطوير البحث العلمي.

ومع تزايد الدوريات شهدت الدوريات أزمة فعلية ، وتعرضت للكثير من الجدل والنقاش وذلك بسبب ارتفاع أسعارها بشكل مبالغ فيه ، مما أثر سلباً على ميزانيات العديد من المكتبات ومرافق المعلومات ، وكنتيجة طبيعية لهذا الارتفاع قللت الكثير من المكتبات اشتراكاتها لعدد كبير من الدوريات مما أدي إلى فقدان الكثير من الباحثين الفرصة في متابعة أعداد الدوريات العلمية ، ومن ثم متابعة الجديد فى عالم البحث العلمي وتطوراته.

ومع ظهور الإنترنت والنشر الإلكتروني وحققت المعادلة الصعبة والمتميزة في نفس الوقت بإمكانية إتاحة هذه الدوريات و إمكانية الوصول المباشر ، وقد أسس الفيزيائي Paul Ginspargأول خدمة للإتاحة من خلال الإنترنت قبل النشر ، ففي عام 1991سمح للعلماء بمشاركة أفكارهم وآرائهم قبل عملية النشر ، وذلك عن طريق إنشاء أول قاعدة بيانات لبحوث ما قبل النشر فى مجال الفيزياء. وبعد مرور ثلاث سنوات أدرك العالم البريطانيSteven Harnadأهمية الإيداع من خلال الإنترنت ، وتحفيز وحث العلماء والباحثين على أن يقوموا فورا بالأرشفة الذاتية وإيداع أعمالهم و إتاحتها بشكل حر.

وشهد عام 1998حركة أقوى فى طريق الوصول الحر وذلك بتأسيس اتحاد النشر العلمي والمصادر الأكاديمية حيث دعم زيادة حجم المواد المتاحة عن طريق الوصول الحر في مجال الطب الإحيائي خاصة بعد انضمام المؤسسة الصحية الوطنية

2.تعريف الوصول الحر:

في البداية نعرف مصطلح الوصول :Access يستخدم البعض كلمة "الإتاحة" أو كلمة "النفاذ" فيقصد به إمكانات الإفادة من مصادر المعلومات المتوافرة بالمكتبة أو مركز المعلومات بشكل مادي أو مختزنة إلكترونياً فى أوعية التخزين بها أو من خلال إمكانات الوصول إليها بواسطة شبكات للمعلومات المتاحة لمجتمعها . وفيما يتعلق بالحاسب فإن المصطلح يعنى قدرة المستفيد على الوصول إلى البيانات المختزنة على حاسب أو نظام حاسب.

مصطلح الوصول الحرOpen Access يقصد إتاحة الإنتاج الفكري مجانا على شبكة الانترنت، وحق المستفيد فى القراءة، والتحميل الهابط، والنسخ، والطبع، والتوزيع، والبحث ، دون أن يدفع مقابل ذلك.

و يعرف " وحيد قدورة " الوصول الحر بأنه : " تكريس لمبدأ مجانية الوصول إلى المنشورات العلمية للتصدي للارتفاع المستمر لأسعار الدوريات العلمية ، هذا على المستوى الاقتصادي ، أما على المستوى الاتصالي فالمبدأ هو التداول السريع للمعلومات العلمية بين الباحثين والحصول على مرئيات أفضل للأدبيات العلمية ، ومن هذا المنطلق يرد مفهوم الوصول الحر والذي يهدف إلى إتاحة المعلومات وإنشاء مكتبة عالمية قابلة للتبادل على الدوام.

ويعتبر " عبد المجيد بوعزة " : الوصول الحر للمعلومات من المبادئ التي ما انفك المجتمع الأكاديمي ينادى بها بهدف تحقيق التواصل فى مجال البحث العلمي وتبادل الأفكار ، وإتاحة نتائج البحوث العلمية وإثراء الحوار بين الباحثين وتهيئة الظروف الملائمة التي من شأنها أن تسهم فى التقدم العلمي.

وتعرفAFLA الإفلا مصطلحOpen Access هو الوصول الحر بصورة عامة للإنتاج الفكري العلمي وكذلك التوثيق البحثي ، ويعتبر هذا في حد ذاته عاملاً حيوياً يساعد في فهم العالم الذي نعيش فيه ويعيننا في الوصول إلى حلول من شأنها مواجهة التحديات العالمية ، وبصفة خاصة التفاوت في حصولنا على المعلومات.

وعرف معجمSCHOLARLYCOMMUNICATIONS GLOSSARY مصطلح Open Accessهى تلك المعلومات المتاحة في شكل رقمي ومجاني على الخط المباشر من خلال الاتفاقيات والتراخيص الحرة لحقوق الملكية الفكرية.

وأجمل Peter Suber ـ الذي يعد من أبرز رواد حركة الوصول الحر ـ مصطلح Open Accessبأنه هو ذلك المصطلح الذي يتخطى الحواجز ويتيح البحث العلمي الحر على الخط المباشر للإنتاج الفكري العلمي.

وهناك تعريف أخر لمعجمOA and IR glossary, webliography and furtherreading أشار إلى مصطلحOpen Access يتجه نحو الإتاحة المجانية على الخط المباشر للمقالات البحثية لأي شخص من خلال شبكة الإنترنت.

أما : " Peter Suber" فقد حدد ملامح الوصول الحر للمعلومات على أنها تعتمد على الشكل الرقميDigital ، الاتصال المباشرOn Line ، الإتاحة دون مقابلFree of Charge ، كما أنها متاحة دون قيود رقابية أو قيود صارمة على حقوق النشر و التأليف.

ومن التعريفات السابقة نجد أنها تدور معظمها على نقاط محددة هي الإتاحة المعلوماتAvailabilityفي النص الكاملFull-Text وبشكل مجانيFree ومباشرImmediateويتسم بالاستمرارية وبشكل دائمPermanent على الخط المباشر ,On-Line والمستفيدين بشكل عام for Public.

3. طرق الوصول الحر للمعلومات:

هناك طريقان رئيسان للوصول الحر:

الطريق الذهبي :Gold Road ويعني القيام بنشر دوريات علمية محكمة لا تهدف إلى الربح المادي، وتسمح للمستفيدين منها (دون أية رسوم) بالتمكن من الوصول عبر الإنترنت إلى النسخ الإلكترونية من المقالات التي تقوم بنشرها. وتنبغي الإشارة إلى أن هذا النمط من الدوريات يتمتع بالخصائص نفسها التي تتمتع بها الدوريات المقيدة ذات الرسوم، وعلى رأسها التحكيم العلمي للمقالات.

الطريق الأخضر :Green Road ويعني قيام الدوريات القائمة على الربح المادي، بالسماح وتشجيع إيداع المقالات المحكمة المنشورة بها (في نفس وقت النشر أو بعده بفترة قصيرة) في مستودعات متاحة على العموم على الخط المباشر.

4. عوامل ظهور حركة الوصول الحر للمعلومات

هناك عوامل عديدة كانت من وراء ظهور حركة الوصول الحر للمعلومات، وحسب الباحث عبدالرحمن فرج تتمثل هذه العوامل في ما يلي:

- نشوء الانترنت وتقنيات المشابكة وتطورها وانتشارها وتلاحمها مع تقنيات النشر الالكتروني.
- زيادة الإفادة من مصادر المعلومات المتاحة على الانترنت.
- نمو حركة النشر العلمي وازدياد الإنتاج الفكري العلمي على مستوى العالم.
- التناقص في الميزانيات المخصصة لاقتناء الإنتاج الفكري العلمي مما أدى إلى عجز المكتبات عن تلبية جميع احتياجات مستعمليها وإرضائهم.
- القيود المتعلقة بحقوق التأليف من قبل الناشرين والتي عملت على الحد من الإفادة من المعلومات وبثها.
- الوصول المحدود للإنتاج الفكري العلمي بالرغم من ان نسبة كبيرة منه ممولة من قبل المؤسسات العامة، ونسبة كبيرة من الأعمال البحثية غير مرئية وظاهرة لجميع الباحثين في الميدان في ظل النشر التقليدي وبالتالي لا تتلقى ما تستحقه من عرفان واهتمام.
- الدفعة العالمية للوصول الحر خاصة المبادرات والبيانات الدولية والوطنية.

- إلزام بعض مؤسسات تمويل البحث العلمي للباحثين بإتاحة نتائج البحوث التي تقوم بتمويلها وفقا للوصول الحر.
- التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية التي يمر بها العالم المعاصر والتي تطالب بالمزيد من الحقوق للمواطن العادي في المشاركة السياسية والاجتماعية ومن بينها حقه في المعرفة والحصول على المعلومات.

5. مزايا الوصول الحر

الوصول الحر للمعلومات يحقق العديد من المزايا حددتها الباحثة فاطمة محمد النور احمد في النقاط التالية:

- تسريع وتيرة البحث العلمي
- تقوية الإنتاجية العلمية
- تقوية التواصل بين الباحثين من مختلف التوجهات.
- وضع أسس للتواصل بين الشعوب من خلال اقتسام باكورة البحث العلمي
- التحديث المستمر للمعلومات المحتواة في المصادر المتاحة.
- تقليص الوقت اللازم لانجاز البحوث العلمية.
- إمكانية النشر المباشر للبحوث العلمية.
- متابعة الأخبار العلمية من ندوات وتقارير ونشاطات علمية واختراعات أول بأول.

6. عيوب الوصول الحر:

توجد العديد من العيوب والمشكلات التي تقف أمام الباحثين تجاه الوصول الحر للمعلومات والتي من بينها:

- عدم توفر الدراية الكافية لدى الكثير من الباحثين بأدوات البحث الملائمة التي تمكنهم من الوصول للمواد التي تخدم بالفعل الحاجة البحثية.
- اضطراب الباحث وحيرته أمام توافر كم هائل من المواد المستدعاة مما يترتب عليه ضياع الكثير من الوقت في عملية التصفح، والتحقق من المواد ذات الصلة بموضوع بحثه.
- عدم الوصول في كل الأحوال للنصوص الكاملة .
- مدى صحة و مصداقية المعلومات المتاحة من خلال الإنترنت ، ومدى قدرة الباحث على التمييز ما بين الغث والثمين من المواد المتاحة.
- ليست كل الوثائق متاحة بالفعل في الشكل الإلكتروني.

- التغير الدائم في عناوين العديد من المواقع الإلكترونية ومن ثم ربما لا يستطيع الباحث العودة مرة أخرى للحصول على المعلومات نفسها أو متابعة تحديثها.
- الاختلاف و التغيير المستمر في المعلومات المتاحة يوما عن يوم عبر الإنترنت ، مما ينعكس على صحة وجودة الاستشهاد المرجعية .

ويرى Peter Suber وجود أربع عيوب واضحة مازالت ملازمة للوصول الحر وهى:

- الفلترة أو الرقابة حيث أن العديد من المؤسسات أو الهيئات أو الحكومات مازالت تقوم بعملية فلترة أو تنقية قبل النشر.
- القيود اللغوية ، إذ إن معظم المواد المتاحة باللغة الإنجليزية مما يعيق تحقيق الإفادة أمام عدد كبير ممن لا يجيدون اللغة الإنجليزية .
- قيود الوصول الحر أمام المعاقين .
- مشكلات الاتصال و التي مازالت تعانى منها العديد من الدول ، بسبب ضعف البنية التحتية.

7. نماذج الوصول الحر:

الوصول الحر للمعلومات يتجسد في عدة نماذج اهمها دوريات الوصول الحر والمستودعات الرقمية إضافة إلى الأرشفة الذاتية وغيرها.

بالنسبة لدوريات الوصول الحر والتي يعبر عنها أيضا بالطريق الذهبي للوصول الحر هي دوريات محكمة ومجانية الإتاحة للعموم عبر الانترنت. وهي وسيلة مهمة للاتصال العلمي بين الباحثين وفقا لمعايير مفتوحة تمكنهم من سرعة الوصول للمعلومة وكذا التعجيل بنشرها وتصفحها دون قيود عن طريق أدلة دوريات الوصول الحر.

المستودعات الرقمية هي حسب John Paul Anbuk : مجموعة من المواد الرقمية التي تستضيفها وتمتلكها مؤسسة ما. وبعبارة أدق هي أرشيفات رقمية للإنتاج الفكري لأعضاء المنتسبين للمؤسسة من الأكاديميين والدارسين والباحثين والطلاب متاحة للمستفيدين سواء من داخل المؤسسة أو خارجها، وتعد الوظيفة الأساسية للمستودع المؤسسي هي استقطاب البحوث وجميع أنواع الإنتاج الفكري الأخرى التي تصدر عن المؤسسة واختزانها لحفظ الحياة الفكرية وبثها على أساس طويل المدى

كما تعرف المستودعات الرقمية حسب معجم مصطلحات المكتبات والمعلومات والأرشيف على انه قاعدة بيانات يمكن الوصول إليها والبحث فيها على الويب، وتحتوي على الأعمال البحثية التي أودعها الباحثون في القاعدة، وتهدف إلى وقاية الأعمال البحثية وحفظها على المدى البعيد، وتنقسم المستودعات الرقمية إلى نوعان: المستودعات المتخصصة موضوعيا، المستودعات المؤسسية.

الأرشفة الذاتية: هي مجموعة من الإجراءات التي يتبعها الباحثون الأكاديميون لإرسال أو إيداع أو وضع النص الالكتروني الكامل للإنتاج الفكري والبيانات الببليوغرافية والمستخلص بالمستودعات الرقمية المفتوحة.

8.مبادرات الوصول الحر للمعلومات:

البدايات الأولي للوصول الحر للمعلومات كانت مبادرة المكتبة العامة للعلوم عام 2001 بدأت هذه المبادرة بتوجيه رسالة مفتوحة من قبل باحثين من دول مختلفة، طالبوا فيها الناشرين السماح لهم بإتاحة المنشورات العلمية مجانا في مكتبات عامة على الخط. وأعلنوا عن عزمهم إنشاء مكتبة عامة على شبكة الانترنت قصد توفير المحتوى الكامل لنتائج البحوث المنشورة في علوم الطب والأحياء .وهذه المكتبة العامة ستساهم بالخصوص، كما جاء في الرسالة المفتوحة، في الرفع من إمكانية إتاحة الأدبيات العلمية للعموم، وفي دعم الإنتاجية العلمية حتى تكون عامل تقارب بين مجتمعات الباحثين في العلوم الطبية والإحيائية.

ويري البعض أن البداية الحقيقية للوصول الحر للمعلومات مع انطلاق ما يعرف بمبادرة بودابست للوصول الحر (Open Access Initiative) في الأول من فبراير عام2002 .وهي مبادرة تحاول بناء مجتمع بحث علمي عالمي يتخذ من الانترنت مجالا لحركته ، ويتم خلاله تبادل المعلومات والبحوث والوثائق والدراسات الكاملة بشكل حر ودون عوائق بين مئات الآلاف من العلماء المنتشرين حول العالم ، ووقع علي هذه المبادرة 16 عالما وأكاديميا كانوا يشاركون في أحد المؤتمرات التي نظمها معهد المجتمع المفتوح ، وكانوا يمثلون العديد من المجالات الأكاديمية والعديد من الدول وخبرات مختلفة في مجال بناء حركه الوصول الحر للمعلومات ، وخلال السنوات الماضية ارتفع عدد الموقعين والمشاركين في المبادرة وتجاوز عشرات الآلاف من الأفراد والمنظمات من مختلف أنحاء العالم يمثلون جهات بحثيه وجامعات ومعامل أبحاث ومكتبات ومؤسسات وناشرون وجمعيات علميه. وتدعو هذه الحركة كل العلماء من جميع التخصصات لوضع نسخ من أوراقهم البحثية وإنتاجهم العلمي بشكل كامل ومفتوح المصدر علي موقعها بالانترنت، بحيث يمكن لأي باحث أو عالم أخر حول العالم الوصول إليه بشكل حر، كما تدعوهم لإضافة أنفسهم إلى دليل أو كشاف الباحثين والبحوث والعلماء, وتستقبل هذه المواقع جميع الدراسات بأنواعها ، كما تعمل علي توفير آلية أمام العلماء من مختلف أنحاء العالم للمشاركة في تخطيط وتنفيذ ومتابعه وتطوير المشروعات البحثية في شتي المجالات.

ومنذ الإعلان عن مبادرة الوصول الحر في فبراير2002 توالي ظهور العديد من المبادرات والحركات الداعمة لها، والتي تبذل جهودا مماثله في مجال الوصول الحر في البحث العلمي وجميعها ظهر ومارس فعالياته عبر الانترنت وقد أجملها " نزهه الخياط في التقسيم التالي:

المبادرة	الهيئة الداعية	الأهداف
الرسالة المفتوحة للمكتبة العمومية للعلوم Plos Lettre ouverte 2001	34000 باحث 180 دولة	خلق مكتبة عمومية على الخط بهدف: • تنمية الوصول إلى الأدبيات العلمية • تقوية الإنتاجية العلمية؛ • تقوية التواصل بين البحاثة
مبادرة بودابست للوصول الحر Déclaration de Budapest 2002	نخبة من العلماء والهيئات من دول واختصاصات متنوعة	استغلال التكنولوجيا لإتاحة منشورات المجلات المتوفرة على هيئات للقراءة بهدف: • تسريع وثيرة البحث • إغناء التعليم • تبادل العلم بين الأغنياء و الفقراء • إعادة الطاقة والفائدة للأدبيات المنشورة • وضع أسس الحوار عبر المعرفة
مشروع للبحث التشاركي Charte ECHO 2002	نخبة من العلماء والهيئات انطلق من برلين	تدعيم المؤسسات والمشاريع الأوروبية المتوفرة أو التي تهدف إغناء التراث الثقافي من خلال التكنولوجيا والوسائط الحديثة • التشجيع على المحافظة على التراث الثقافي المملوك للإنسانية وكذا على نشره • منح الآليات التي تخول الوصول إلى هذا التراث مع احترام بنياته و معطياته الخاصة
إعلان بديستا Déclaration de Bethesda 2003	24 باحث من دول واختصاصات متعددة	• استغلال التكنولوجيا لإتاحة المنشورات بحرية للجميع في كل بقاع العالم دون أي تمييز
إعلان المبادئ لجمعية الناشرين ومهنيي النشر Position de principe	جمعية الناشرينومهنيي النشر Association of Learned and	تقبل جمعية مهنيي النشر ب • إنشاء دوريات على أنماط اقتصادية مختلفة ترجح الوصول الحر، وتمكن من تقييم المردود بالنسبة للبحاثة،

de 2003	Professional Society Publishers (ALPSP)	وكذا استمرارية وثبات هذه الأنماط
إعلان برلين Déclaration de Berlin 2003	136 هيأة من مختلف أنحاء العالم	• جعل الإنترنت أداة لخدمة المعرفة • تكوين خزان للمعرفة الإنسانية وللتراث الثقافي • نشر المعرفة واقتسامها مع العالم
Wellcome Trust 2003	منظمة مستقلة لتمويل البحث العلمي العامل على تحسين الصحة البشرية والحيوانية	أول مؤسسة في العالم تهدف: • فرض الوصول الحر إلى المنشورات الناتجة عن المشاريع الممولة من طرفها، والتي يبلغ عددها 3500 مقالة علمية في السنة
Interacademy Panel 2003	67 هيأة ومؤسسة علمية من جميع القارات والدول	• تحقيق الوصول إلى المعرفة الإنسانية • الانفتاح على التكنولوجيا
إعلان إفلا Déclaration IFLA 2003	المجلس الإداري لإفلا	• تحقيق الوصول الأكثر اتساعا للجميع حسب مبادئ إعلان جلاسكو حول المكتبات والمعلومات والحرية الفكرية
إعلان المبادئ Déclaration de principe 2003	القمة العالمية حول مجتمع المعلومات	• النفاذ الكامل لتكنولوجيا الإعلام والاتصال • الوصول إلى مجتمع المعلومات والمعرفة

المصدر/ بن غيدة، وسام يوسف. نشأة حركة الوصول الحر للمعلومات العلمية والتقنية .- Cybrarians Journal.- العدد 40، ديسمبر 2015 .